

السمر الغريق ... أو

فتاة نهر السين

لهوستان محمد عبد الفنى هـ ص ١٠٠

عزوا في نهر السين من أهوام نليلة على جثة فتاة ، وعلى شفيتها ابتسامة حزينة ...
ولم يستطع المحققون أن يكشفوا سر غرق الفتاة ، فطواها الزهر وطوى معها سرها .
وقد امتلأت معارض الصور والفنون في باريس وميونخ بألمانيا بصورة هذه الفتاة ،
وصنعوا لها هناك تماثيل صغيرة ، كانت تباع في كل مكان ، وسموها « المرأة المجهولة » .
ووحى هذه القصيدة هو صورة جميلة من مدينة « ميونخ » تذكر الشاعر دائماً
بفلسفة الحياة والموت .

ماذا رمى بك في بطون الماء	ومحا معالم وجهك الوضاء ؟
عقد الكرى في ناظريك سكوته	فارتحت من نصب ومن ضوضاء
نور الحياة — كما علمت — خديعة	فتمتعي في (السين) بالظلماء ...
ما هذه الدنيا وما ومضاتها	ألا مخايل خدعة ومراتي
شفتك تبسمان عن سخرية	عينك تغتمضان عن إغضاء ...
تلك الحياة — وما أشد همومها —	هصرتك هصر العود في الأنواء
السمر في شفتيك مضموم على	جرح ومطوى على أدواء
وأكاد ألمح في جبينك طابعاً	وسمته قاسية يد الضراء
وأراك من حيث التفت مراثياً	مجهولة المعنى لعين الرائي
وذهبت فيك من الظنون مذاها	والظن أقصى غاية الحكاء
وأرى على شفتيك كبراً أن ترى	بهما ملامح ذلة وشقاء
غطيت من خلف ابتسامك قصة	ماذا يفيدك سترها بغطاء
حسرت فيك الضاربين بظنهم	وتركتهم في حيرة عمياء

وأثرت حولك للشكوك نواحيا وأطلت حولك ألسن الجهلاء
 من لي بكشاف الغيوب كشيقة ليزيح ما أخفيت من أنباء؟؟؟
 حار الفضوليون فيك وأمعنوا في الحدس والتخمين والآراء
 وافتن فيك المسرفون بظنهم ورُموك من جهل بهم وغباء
 وتأولوا فيك الحديث مذاهبا من غير ما حجل ولا استحياء
 هلا شفيت بهم لو أعج صدرهم وأزحت عنك ستارة الإخفاء؟؟
 يأنهر صنت على الليالي سرها وحفظت قصتها من الإفشاء
 ووعيت فيك - وأنت أوفى مودع - أغلى الضيوف وأكرم النزلاء
 غصن ثناه الموت في ريعانه وطواه ونهر يرف في الأنداء
 ما كاد يشرق للشباب وصبحه اللهاج حتى غاب في الإمساء
 يأنهر في أطواء موجك سيرة قد لفها المجهول في الأحشاء
 وجدت بصدرك راحة في صدرها ورأت بمائك غسلا للداء
 والموت فيه من الحياة سلامة وشفاء من عاشوا بغير شفاء
 خط الجمال على جبينك مسحة بقيت برغم تقلص الأعضاء
 أعياء على الزمن المغير مسخها إن الزمان مشوه الأحياء
 فيها بقايا من جمال عابر وأثارة من فتنة ورواء
 عجلت في الدنيا نواك وربما كانت أمانى العيش في الإبطاء
 في الموت يا أختاه راحة يائس يقضى الحياة موكلا بعناء
 إن الحياة على اختلاف جديدها دار الضيوف ومنزل الغرباء
 ما نحن في الدنيا سوى أقصوصة تتلى ومروى من الأنباء
 ناتي من (المجهول) غير خوالف ونعود (للمجهول) غير بطاء
 فإذا البداءة والمصير كلاهما لغز يحير أعظم الحكما.....

محمد عبد الفنى مصر